



في الخمسينيات من القرن الماضي، نشر موسيه ديان وزير الحرب الإسرائيلي، خطة الحرب الإسرائيلية التي ستطبق بعد في حرب 1967 م. وعندما سُئل عن سبب نشره خطة عسكرية ستطبق بعد. قال: "العرب لا يقرؤون!!"

والى اليوم وبعد مرور قرابة حمس سنوات على الثورة السورية، وبعد وصول أوراق القضية السورية إلى أروقة الأمم المتحدة، والى جنيف وفيينا والأمم المتحدة تحديداً، ينبعث حول المسألة ألف سؤال وسؤال حول الموقف الدولي من القضية السورية بخاصة، فيعجز عن الإجابة المعنى بالإجابة بينما يجيب على استحياء وخوف آخرون فيشوهون الحقائق و يقدمون الآراء والأفكار على شكل هرم مقلوب.

وتعود مقوله موسيه ديان "العرب لا يقرؤون" لتطفو على السطح من جديد!!!

خمس سنوات مضت من عمر الثورة السورية وقد أوقف الحاسوب الإعلامي عن العد بعد أن قاربت الضحايا الربع مليون إنسان، وغدت الضحايا التي تسقط تباعاً وبشكل يومي وكأنها لاشيء في عالم البشر!!

لقد ناهض جيش النظام الثورة السورية ردها من الزمن، ثم أضيف إليه شرذم لبنان، وآخرون جاؤوا من إيران، ومن باكستان وأفغانستان، ومن رافضة العراق ومن غيرهم. فعجزوا وذلوا أمام قوى الثورة السورية، المدججة بإيمانها، ومرغت أنف أولئك، وأرغمته في التراب.

وأخيراً بشكل عدواني وفي منعطف تاريخي تمر به الثورة السورية يأتي التدخل الروسي في سوريا، ضد الثورة السورية بخاصة، وضد الشعب السوري بعامة، قصد تركيعه وإذلاله، بل وقصد اجتياح سوريا، على وفق مخطط خفي، تتجاوز حدوده موسكو و طهران، بل ولندن وباريس!!

لقد بدأ الروس عدوانهم على شعب سوريا فقصصوا المدارس والمشافي والأسواق الشعبية، والأحياء الآمنة، ولم يفرقوا بين

أعزل ومسلح وكأنهم يتبنون خطة تدمير سوريا قصد تفريغها من سكانها، وجعلها غنية لقوى الغزو الخارجي التي تألفت عليها من جهاتها الأربع.

وفي زحمة ذلك وحيث أشلاء القتلى تتناثر موزعة بين حلب ودرعا، وحمص وحمادة، واللاذقية والميادين، وحيث ينبعث الصراخ من كل حنجرة، والجميع ينادي النجدة، دون أن يجد حتى ولو بارودة واحدة مشرعة تنتصر لهم، فينكسر ذلك الصراخ على نفسه، تلفه الخيبة المرة، ولسان حاله يقول مؤكداً ومقلداً "العرب لا (يعلمون) ولا (يتعلمون)!!!

وفي أجواء الأمية هذه، يهرب أصدقاء سوريا إلى المحافل الدولية، وهم يحملون الحقائب الفارغة، إلا من المناذيل المعدة مسبقاً، لمسح عرق جباههم الخجلي من اللاموقف. وقد كاد يصبح سمت تلك المؤتمرات حتى وإن بدا مغلفاً بأكثر من ادعاء سمت أكاذيب مكشوفة، يكثر فيها الصياح، حتى قال قائلهم وهو يسخر من نفسه: "أسمع جعجة ولا أرى طحنا"!! فيضحك ويضحك آخرون.

وعقد المؤتمرات تلو المؤتمرات، ويتداعى الأعداء والأصدقاء، ويتحرك المبعوثون. ولسان الحال يؤكد الحاجة إلى قراءة جديدة ممن يقرأ ويكتب، وذلك لِتُبْنِي رؤيته على أساس من فهم واسع لما يجري داخل سوريا وخارجها، وحتى في أروقة المحافل الدولية، التي تعلن أنها مهتمة بالقضية السورية.

وفي تقديرنا: أن المؤتمرات جمعياً ليست أكثر من تظاهرة مخادعة قصد امتصاص غضب بعض الأصدقاء الذين هالهم ما يحدث في سوريا سيما بعد أن أصبحت بلداً محتلاً من روسية وإيران تحديداً، وأن حاكمها الذي استعان على شعبه بالأجنبي، لم يعد سوى عدوًّا لذلك الشعب الذي يحكمه، وبعد أن طفح الكيل من الدم السوري، حتى رشق رشقات وصلت واشنطن وباريس، والذي يجعل الأمر أكثر تكشفاً أن المفاوضات التي قد تعقد في ظروف استثنائية، تعقد والعدوان الروسي يصعد كل يوم وتائر هجومه، بينما الجسر الجوي منصوباً بين المطارات السورية ومطارات روسيا، وقد أخذت تتدفق على سوريا الوحدات الروسية المدمجة بالسلاح، للمشاركة في القتال على الأرض السورية، وللوقوف إلى جانب النظام السوري في حربه ضد السوريين.

وهذه القضية قد تكون كافية بالنسبة لنا نحن العرب، لتصح القراءة، ولنقدم الدليل على أن الموس التي كانت تعد لحلقة لحى السوريين ستتجز لحى أولئك الذين لا يزالون يعتبرونها بعيدة عنهم.

فالذى آمن بالعلمة منجزاً حضارياً لإنسان القرن الواحد والعشرين، والذي آمن أن حقوق الإنسان تعلو ولا يعلى عليها، عاد ليؤمن من جديد أن الإرهاب والإرهاب المضاد الذي يهب من شرق أو غرب لابد إلا أن يشمل العالم كله وبدون استثناء، فيكتوي بناره ويذوق مراره الناس جمعياً، وأن ردود الأفعال لابد إلا أن يحسب حسابها وبدقّة:

لذا ومن هذا المنطلق جاء التدخل الروسي في سوريا، ليقدم الدليل على فداحة الجريمة التي يرتكبها الروس على الأرض السورية، ولوضع العالم أمام أخطاء أربعة:

**الخطر الأول: خطر المطامع الدولية المتعدية**، التي يمثلها العدوان الروسي والتي تهدف إلى قتل الإنسان وتدمير بناء التحتية في كل مكان من سوريا، وأن خطر المطامع هذه قابل للتعدي وبدون حدود .

**الخطر الثاني: خطر التحالف الصهيوني-إيراني** الذي يهدف إلى تفريغ سوريا من سكانها باستهداف السنة تحديداً - بمحاولة تهجيرهم بكلفة الطرق، لتحل بدلاً منهم قطعان الرافضة القادمة من وراء الحدود، وهو خطر لا يقل عن سابقه فداحة.

**الخطر الثالث: خطر السياسة الأمريكية الداعمة للمشروع الصهيوني-إيراني**، والتي تعد حكومة بسياسة اللوبي الصهيوني-الذي يجر السياسة الأمريكية إلى خانة الدولة العدوة لأمريكا والغرب، وهي حرب لن تكون رابحة على المدى الطويل بالنسبة

**الخطر الرابع: خطر الضعف الدولي** العام الذي يقف عاجزاً أمام تلك **السياسات المتأزرة والمتضاربة**، والتي تمسُّ سيادة الدول جمعياً ومنها الدول الشرق أوسطية المعنية بالعدوان، ودليلنا على ذلك اتساع رقعة الخطر في سوريا، وقد أصبحت حمى مستباحاً للموتورين من الناس جمعياً. وهم يسندون حاكماً حول حقده إلى براميل متفجرة، تلقى من علىٍ على شعب كل ذبه أنه رضي به ذات يوم أن يكون حاكماً له.

والأخطار الأربع هذه تتطلب منهاً فهماً جديداً وقراءة جديدة للمنعطف الجديد الذي تمر به المنطقة الشرق أوسطية، وللأمن والسلام الدوليين اللذين يهتم بهما البشر.

والفهم الجديد والقراءة الجديدة يتمثلان بقراءة التاريخ العربي والإسلامي، وفهمه فهماً جيداً من واقع خطه البياني الصاعد والنازل منذ العصور الوسطى وإلى اليوم.

قراءة التاريخ الأوروبي وفهمه فهماً صحيحاً على أساس من جدل العلاقة بين النصرانية والإسلام من ناحية، وبين أوروبا والعالم الإسلامي من ناحية أخرى في القديم والحديث.

قراءة المسألة الإقليمية منهم الخصوصيات الوطنية والقومية لدول المنطقة من ناحية ولدول الجوار من ناحية أخرى سيما إيران التي تبني سياسة أقل ما يقال عنها: أنها سياسة توسيعية صرف.

فهم الخصوصية المذهبية ومعرفة ما فيها من سمات وخصائص إيجابية وسلبية. وهي مسألة قل أن تخل منها دولة من دول المنطقة وتدخلاتها المقلقة، والتي تتطلب حلاً سريعاً ومنصفاً.

معرفة الدور الإيراني وما عليه الإيرانيون من حقد وكراهية للعرب من ناحية، ومن محاولة جادة وطموحة لإحياء أمبراطوريتهم الفارسية القديمة، ومد مناطق نفوذهم إلى ماه وأبعد وعلى حساب جيرانهم جمعياً وعلى حد سواء.

معرفة الدول الأجنبية التي ترسم سياساتها من واقع مصالحها وتحالفاتها وأهدافها السرية والمعلنة ومنها روسية التي تمارس الدور الأخطر والأكبر على الساحة الدولية.

معرفة طبيعة العلاقات الدولية التي قامت على أساس من كل تلك الخصائص والأهداف ومنهم نقاط الالتقاء والافتراق بينها، وعدم الالكتفاء بالمعلن من تلك العلاقات، وهي إعلانات قد تكون مضللة وغير صادقة.

**وهذه الرؤية تقودنا إلى أمرين متناقضين تماماً.**

**الأمر الأول: يتعلق بقبول الدعوة إلى المفاوضات.** وهو قبول من شأنه أن يؤذي الشعب السوري، و يؤذي ثورته كذلك. ونقطة الإيذاء فيه، أنه مخادع وكاذب والهدف من ورائه تمرير الوقت من أجل إطالة معاناة الشعب السوري وتدمير القدر الأكبر من بناء التحتية، وقتل وتشريد العدد الأكبر من السوريين. والأهم من ذلك الوصول بالسوريين إلى حد اليأس فقد الثقة. وذلك بالربط بين الائتمار والتآمر وهو ما يكاد يلحظ في أوساط العامة والخاصة.

ومنهم الثوار الذين يرون في تلك المفاوضات أكذوبة يجب ألا تصدق. أو على حد تعبير بعضهم "الحصى الذي يطبح على نار هادئة"!!!

**الأمر الثاني: يتعلق برفض الدعوة إلى المفاوضات** وهو رفض من شأنه أن يؤدي إلى إيذاء السوريين وإلى إضعافهم وإلى خذلانهم كذلك من قبل أشقاءهم وأصدقائهم والمعاطفين معهم من دول العالم كافة. فالقضايا العادلة، تتطلب مواقف مشرفة، وهذه المواقف لا تكون بالرفض المطلق، وإنما بالحوار الهداف والبناء، الذي يتفهم أبعاد المسألة ويعرف كيف يتعامل معها، بعيداً عن الانجرار التقليدي الذي كما قلنا آنفاً يؤذي ويضر وحسب ادعاء النظام وحلفائه الذين يدعون

الfuscائل المقاتلة على الأرض السورية جمعيها إرهابية. فقد باتت المسألة تتطلب منا فهما جديدا للرفض والحضور معا. يستوي في ذلك من يحمل السلاح في الداخل ومن يعارض في أروقة المؤتمرات في الخارج، فالمسألة نضالية بامتياز.

وهي لا تقف عند حدود المعرفة حسب بل تتعدي ذلك إلى التآمر المقنن والمدروس والذي يعد مسبقا بعيدا عن مصالح الشعوب وعن حقوقها المشروعة في الحياة الحرة الكريمة التي تبرر كفاحها ضد عدوها.

والقادم مختلف بمخرجات المفاوضات قد يسقط ورقة التوت عن سوء أولئك الذين يظنون أنهم يعملون بعيدا عن الأعين، وفي خفاء، حيث سيؤدي ذلك إلى المواقف الصحيحة والجادة بل والتحشيد الحقيقى ضد ما هو أكبر وأخطر حتى من بشار، ومن نظام بشار. ”ولتعلمنَّ نبأه بعد حين“

مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المصادر: